

سورة النحل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا
نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
النحل 43

معاني الكلمات :

{وما أرسلنا من قبلك} أي من الرسل
{إلا رجالاً} لا ملائكة
{نوحى إليهم} بأمرنا
وقوله: {فاسألوهم} أيها المشركون المنكرون أن يكون الرسول
بشراً، اسألوهم أهل الذكر وهو الكتاب الأول أي أسألوهم
علماء أهل الكتاب اليهود والنصارى هل كان الله تعالى
يرسل الرسل من غير البشر
{إن كنتم لا تعلمون} فإني أخبرونكم وما موسى ولا عيسى
إلا بشر

المعنى الإجمالي :

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا ، أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل
قبلك ملائكة ، بل رجالاً كاملين ، لا نساء . نُوحِي إِلَيْهِمْ
من الشرائع والأحكام ما هو من فضله وإحسانه على
العبيد ، من غير أن يأتوا بشيء من قبل أنفسهم،....

(فاسألوهم أهل الذكر) أي : الكتب السابقة (إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) نبأ
الأولين ، وشككتكم : هل بعث الله رجالاً ؟ فاسألوهم أهل العلم بذلك ،
الذين نزلت عليهم الزبور والبينات ، فعلموها وفهموها ، فإنهم كلهم
قد تقرر عندهم أن الله ما بعث إلا رجالاً يوحي إليهم من أهل القرى
وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم
بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع
الحوادث ، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتركيبه لهم ، حيث أمر
بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعية، فدل على أن الله
ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف
بصفات الكمال.

وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على
الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم
ودنياهم الظاهرة والباطنة ، لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ ، وهذا شامل
لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فيه ، فيستخرجون من
كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه"

فالمعنى الإجمالي للآية (وما أرسلنا إلى الأمم السابقة قبل إرسالك إلى
أمتك - أيها النبي - إلا رجالاً نوحى إليهم بما نريد تبليغه لهم، ولم
نرسل ملائكة كما يريد كفار قومك، فاسألوهم - أيها الكافرون - أهل
العلم بالكتب السماوية، إن كنتم لا تعلمون ذلك، فستعرفون أن
رسل الله جميعاً ما كانوا إلا رجالاً لا ملائكة).

وجعل الله الرسول إلى البشر بشراً لا ملكاً؛ حتى يكون الرسول
قدوة لأتباعه، فلو كان نبينا - عليه الصلاة والسلام - ملكاً؛
لقال الناس: لا نستطيع أن نفعل مثله؛ لأنه ملك ونحن بشر،
قال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن
قالوا أبعث الله بشراً رسولا (94) قل لو كان في الأرض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
(95) (الإسراء).

هناك بعض الصفات التي يتصف بها أهل الذكر وهي:

1- إذا كان السؤال عن أمور الدين والحكمة الشرعية فسألوهم
من (يعرفون منهاج الله تعالى وحفظه القرآن) لأنهم على دراية
كاملة بآيات الله وأحكامه الشرعية.

2- (يعرفون الله عز وجل حق تقاته) فمعرفة الله تعالى لا تحتاج
إلا لأصحاب العلم، والحكمة، والمعرفة لأنهم يعبدون الله على
العقل وتعلموها من خلال الله تعالى وليس مجرد التقليد، لأن الله
تعالى لا يُعبد عن جهالة، فيجب أن تسأل أولئك الذين يعرفون
الله حق المعرفة وإياك أن تعبد الله عن جهالة.

3- (يعملون بعلم نافع) يفيده الناس، لأن العلم من دون خدمة
المجتمع وطلاب العلم فهو علم يُجرب ويُدمر، فيجب أن تسأل
أصحاب المهنة الشريفة والرفيعة لأن لديهم علم غزير.

أخلاقهم عظيمة ويعبدون الله من خلال تعاملهم مع الآخرين
لأنهم يطبقون أحكام الله لذلك نرى (سيماهم في وجوههم) من
أثر السجود، وهؤلاء هم أصحاب العلم والبشر الملائكة الذي
يسعى نورهم في وجوههم، فما أجمل أن يجتمع العلم النافع مع
عبادة الله تعالى فهذا يرتقي الإنسان بمستوى الإنسانية والروحانية
المتصلة بالله تعالى.

4- (قوهم ماثوراً ومستبسط من الخيرات والتجارب) التي مروا بها
فهم يتعلمون من حياتهم ويجاؤون أن يعلموا الآخرين من (دون
حاجة أو رغبة).

وأهل العلم هم الفقهاء في دين الله الذين يخشون الله عز وجل
ويتقونه في أنفسهم وفي السائلين، فيجيبون بما يرى الذمة، ذمة
المستول، وذمة السائل والواجب على المسلم أن يقبل الحق سواء
كان له أو عليه سواء كان يوافق هواه أو لا يوافق هواه فإن الخير
فيما اختاره الله له (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم
وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) فالسؤال يجب عليه أن يتقي
الله ولا يذهب إلى الجهال والمتعلمين..

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (34)



فَوَائِدُ مِنْ سُورَةِ النِّازِلِ

الآية 43

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز

11- في تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك.

12- أفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم.

13- أن أعلى أنواعه: العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث.

14- وليعلم كل من يفتي فإنه مسئول أمام الله عز وجل عما يقول، فإن الذي يفتي يخبر عن حكم الله سبحانه وتعالى فلا بد أن يكون عنده علم ونية صالحة ولا يتخصص في ذلك أو يأتي بشيء من عنده واستحسانه فإن هذا من القول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم أشد من الشرك قال سبحانه وتعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) فجعل القول على الله بغير علم فوق الشرك، والشرك إنما هو قول على الله بغير علم.

15- أهل الذكر هنا هم: أهل الكتاب من الأمم السابقة الذين بعث الله إليهم الرسل، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو مقرر في أصول الفقه، ولهذا قال ابن عطية: **وأهل الذكر عام في كل من يعزى إليه علم. فأهل الذكر هم أهل الاختصاص في كل فن.**

وعلى هذا، فالواجب على من لم يعلم أن يسأل من يعلم، كما أمر الله تعالى.

قال القرطبي: لم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأهم المراد بقول الله عز وجل: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [الأنبياء: 7]. ولم يختلفوا أن العامة لا يجوز لها الفتيا لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم.

والله اعلم

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الفوائد :

1- وجوب سؤال أهل العلم على كل من لا يعلم أمور دينه من عقيدة وعبادة وحكم.

2- السنة لا غنى عنها لأنها الميمنة لمجمل القرآن والموضحة لمعانيه.

3- أَنَّ اللَّهَ مَا أَرْسَلَ لِيَنِي آدَمَ إِلَّا رُسُلًا مِّنَ الْبَشَرِ، وَهُمْ رِجَالٌ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَتَزَوَّجُونَ، وَخَوْ ذَٰلِكَ مِّنْ صِفَاتِ الْبَشَرِ.

4- يُفْهِمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُرْسِلْ امْرَأَةً قَطُّ؛ لِقَوْلِهِ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا.

5- أَنَّ مَنْ جَهِلَ الْحُكْمَ: يَجِبُ عَلَيْهِ سُؤَالُ الْعُلَمَاءِ وَالْعَمَلُ بِمَا أَفْتَوْهُ بِهِ. وَالْمَرَادُ بِأَهْلِ الذِّكْرِ فِي الْآيَةِ: أَهْلُ الْكِتَابِ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ أَيْضًا يَصْدُقُ عَلَيْهَا أَنَّهَا أَهْلُ الذِّكْرِ؛ لِقَوْلِهِ: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ.

6- قوله (نوحى إليهم) حتى لا يظن طان أن الرسل رجال مثلنا، بل لا بد من العلم أن لهم ميزة ليست لنا، وهي أن الله سبحانه يوحى إليهم بالرسالات.

7- قوله (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) كان الخطاب بداية للنبي صلى الله عليه وسلم (من قبلك)، ثم اتجه الخطاب إلى الكفار (فاسألوا)؛ لأن إقامة الحجة على الكفار مقصد من مقاصد الآية.

8- قوله (أهل الذكر) هم أهل علم الدين، والذكر هو ما أنزله الله سبحانه على رسله من الهداية.

9- وكما وجه الله سبحانه وتعالى الكفار لسؤال علماء أهل الكتاب عن الذي يجهلون، فنحن المسلمين أولى بنا أن نسأل علماءنا عما نجهل.

10- قوله (إن كنتم لا تعلمون) أي الحق والصواب، وجواب الشرط دل عليه السياق، أي إن كنتم لا تعلمون فاسألوا.